Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي وسع الأديب أن يتناول الفكرة الواحدة، بريشته وألوانه كما يصورها بقلمه ولسانه.

يقول الدكتور شوقي ضيف: «ولا شك في أن هذه النزعة التصورية فيه كان لها أثر مهم في نثره، إذ جعلته نثراً مصوراً يهتم صاحبه بصنع الصور والرسوم في كتاباته، كما جعلته يهتم بألوان البديع الأخرى، من طباق وجناس وغيرهما وكأنه كان يحسن بأن هذه الألوان جميعاً من تصوير وغير تصوير تقوم من نثره مقام الألوان الحسية من لوح الرسام»[1].

نشأ ابن العميد في عصر اقترن فيه السجع بالازدواج، غير أنه كان في سجعه يرسل القلم على سجيته، وقلما كان يخطئه، فجلب بطريقته تلك ألباب الأدباء وأشرأبت إليه أعناقهم، يكرعون من حياضه، ويقطفون من رياضه... يقول الثعالبي[2]: «هو عين الشرق، ولسان الجبل، وعماد ملك آل بويه، وصدر وزرائهم، وأوحد العصر في الكتابة، وجميع أدوات الرياسة وآلات الوزارة، والضرب في الآداب بالسهام الفائزة، والأخذ من العلوم بالأطراف القوية، يدعى الجاحظ الأخير، والأستاذ والرئيس، ويضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة، والبراعة مع حسن الترسل، وجزالة الألفاظ وسلاستها، إلى براعة المعاني ونفاستها، وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها: بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد، وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بأبن العميد»، وقد نلحق في الفقرة الاخيرة شيئاً من المبالغة جرت إليها السجعة، وكم للسجع على جماله وروعته من جرائر لا يتسع لذكرها المقام، غير أنها في الواقع ترجع إلى أصل من الحق أصيل، يقول الدكتور زكي مبارك: «.. فإننا حين نقرأ نثره نجد أنفسنا أمام عظمة عقلية يخر لها الجبابرة ساجدين، وهو حين يكتب لا يطالعك بفنه كما كان يفعل معاصروه، وإنما يطالعك بقلبه

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٩٢ (الطبعة الأولى)

(٢) اليتيمة ٣/١٥٤.